الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمـد دراية أدرار– الجزائر

كـلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلاميةقسم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ تخصص: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

الرقم التسلسلي: الرمز:

الحياة الاجتماعية والثقافية لبني حسان في بلاد السودان

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في التاريخ تخصص تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

إعدادالطالبة : إشراف الأستاذ الدكتور:

. حسنية عقباوي مبارك جعفري

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أحمد بو سعيد	أستاذ محاضر ب	جامعة أحمد دراية أدرار	رئيسا
مبارك جعفري	أستاذ محاضر أ	جامعة أحمد دراية أدرار	مشرفا ومقررا
حالة خديجة	طالبة دكتورا	جامعة أحمد دراية أدرار	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1442-1443هـ/ 2021- 2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

People'sDemocraticRepublic of Algeria

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أحمد دراية- أدرار
المكتبة المركزية
مصلحة البحث الببليوغرافي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University Ahmed Draia of Adrar
The central library

شهادة الترخيص بالإيداع

انا الأستاذ(ة): جعفري امبارك

المشرف مذكرة الماستر الموسومة بـــ: الحياة العلمية والثقافية لابن حسان في بلاد السودان

من إنجاز الطالب(ة):

و الطالب(ة): حسينة عقباوي

كلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

القسم : العلوم الإنسانية

التخصص: تاريخ تاريخ عربي الصحراء

تاريخ تقييم / مناقشة: 2022/06/07

أشهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة التقييم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت جميع شروطها.

وبإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والاليكترونية (PDF).

- امضاء المشرف:

ادرار في: 2022/06/21

مساعد رئيس القسم:

مساعد رئيس قسم العلوم الإنسانية
مكلف بمابعد التدرج والبحث العلمي
د . بابا عبد الله

قسم العلوم الإنسانية
جامعة أدرار

ملاحظة :لاتقبل أي شهادة بدون التوقيع والمصادقة.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية .أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

تصريح شرفي
خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

المرجع :القرار الوزاري رقم :933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة):.....عقباوي حسينة.....

الصفة :طالب، أستاذ باحث، باحث دائم :.....طالبة.....

الحامل(ة)لبطاقة التعريف الوطنية رقم :.....103417633.....

والصادرة بتاريخ :.....2017/08/13.....عن:.....بلدية أدرار أدرار.....

المسجل(ة)بكلية:.....العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية.....قسم :.....العلوم الإنسانية.....

المستوى: .....ماستر.....تخصص:.....تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.....

والمكلف(ة)بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:

.....الحياة الاجتماعية والثقافية لبني حسان في بلاد السودان.....

.....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ:.....

إمضاء المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

ا لإ هـد ا ء

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات

أما بعد:

فإني أهدي هذا الجهد المتواضع لوالدي الكريمين حفظهما الله

ولكل من ساهم في إنجازه بنقد أو توجيه أو نصح.

الـشكـر و الـعـرفـا ن

الحمد لله دائما وأبدا، وله الشكر أولا وآخرا

ثم بعد: فإني أتقدم بجزيل الشكر لأساتذتنا جميعا؛ على ما بذلوه من جهد معنا؛ وإنه لمن حسن رد الجميل أن يعترف الطالب بفضل معلمه، ونخص بالذكر أستاذنا المشرف:

جعفري مبارك.

مقدمة

مقدمة :

لقد ساهمت هجرة القبائل بني هلال، معقل وسليم من الجزيرة العربية إلى بلا السودان في نشر الكثير من الاخلاق والعادات العربية، وإثراء تلك الربوع على المستوى الاجتماعي والاقتصادي واللغوي، ومع وجود بعض الباحثين والمؤرخين ممن حكم على هاته القبائل بالهمجية ونشر الضرر إلى أن من قرأ مآثرهم وفضائلهم في كتب التاريخ، وعايش عصرنا الحالي ورأى ما حققته تلك الهجرة على أرض الواقع من تعريب وازدهار ثقافي وعلمي لا يلقي بالا لما قيل ويقال عنهم.

أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية هذه الدراسة المقتضبة-في نظرنا- في محاولة رسم صورة مبسطة عن تلك الجوانب الخفية للقبائل الحسانية(اجتماعيا وثقافيا ولغويا) في بلاد السودان؛ وليتسنى لنا ولزملائنا الباحثين الاطلاع على ما يميز هذا الجزء الذي يكاد يكون مغمورا من العالم

أسباب اختيار الموضوع:

ولعل أهم ما جذبنا للبحث في هذا الموضوع(الحياة الاجتماعية والثقافية لبني حسان في بلاد السودان)هو إبراز بعض العادات الخاصة التي تعد من سمات القوم التي باتت تستهوي القريب والبعيد والعربي والأعجمي على السواء.

إشكالية الدراسة :

أما فيما يخص الإشكالية الرئيسية التي تطرح في هذا البحث فهي كالتالي: إلى أي مدى ساهم تمسك وتشبث المجتمع الحساني بموروثه الثقافي واللساني في الحفاظ على هويته رغم هجرته وامتزاجه مع شعوب عربية وأعجمية وغربية (إشارة إلى الاستعمار الفرنسي)؟

وتتفرع عنها الاشكاليات التالية: ما هي تركيبة المجتمع الحساني ؟، وفيما تكمن الملامح العامة لهذا المجتمع؟، وما هي الروابط الاجتماعية التي تصل بين أفراده؟، وبأي لسان يتواصل بنو حسان بينهم

وماهي أبرز الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية لهذا اللسان؟، وهل بينه وبين اللغة العربية الفصحى أوجه شبه وتقارب؟

المنهج المتبع:

من أجل الإجابة عن التساؤلات المطروحة، اعتمدنا المنهج التاريخي الاسترادادي من خلال عرض الأحداث المتطرق لها في ثنايا البحث (هجرة بني حسان وحروبهم) كما اعتمدنا الأسلوب الوصفي في وصف عادات وتقاليد المجتمع الحساني.

المصادر والمراجع:

وأهم المصادر والمراجع المعتمدة في بحثنا هذا هي: تاريخ ابن خلدون، الذي يعتبر شاهدا على تلك الحقبة الزمنية ولقي كثيرا من رجالات تلك القبائل، ومن بينها قبائل معقل التي ينحدر بنو حسان منها، ووصف إفريقيا للباحث المغربي حسن الوزان في جزئه الأول، قبائل البيضان في الحوض والساحل للمستشرق الأوروبي بول مارتي؛ تحدث فيه عن نسب قبيلة بني حسان وأهم فروعها، وحياة موريتانيا في جزء الحياة الثقافية للمختار بن حامد؛ حيث ذكر أهم العادات والتقاليد التي تميز هذا المجتمع.

كما اعتمدنا على جملة من المراجع اهمها كتاب تاريخ بلاد شنقيط لمؤلفه حماه الله ولد السالم الذي تناول التركيبة الاجتماعية للمجتمع الحساني وفروع بعض القبائل وأنسابها ، بالإضافة لكتاب بلاد شنقيط المنارة والرباط لمؤلفه الخليل النحوي، الذي قدم في كتابه عرضا للحياة العلمية والثقافية لهذا المجتمع.

الدراسة السابقة

ولدراسة هذا الموضوع بشكل ممنهج استندنا على خطة قوامها مقدمة ، مدخل تمهيدي، فصلين، خاتمة، ملاحق، قائمة المصادر والمراجع.

خطة البحث:

خصصنا المدخل التمهيدي لتعريف بالقبيلة وعرض نسبهم وأهم فروعهم ومضارب في بلاد السودانوقسمنا المحتوى لفصلين ضمة كل منهم مبحثين وقسم كل مبحث لثلاث مطالب.

الفصل الأول تحدثنا فيه عن المجتمع الحساني من حيث البنية ونظامه وروابطه و تنشئة الأطفال ومكانة المرأة ودورها الاجتماعي.

الفصل الثاني تناولنا خلاله اللسان الحساني من حيث المفهوم والخصائص والدلالة والتركيبة كما تناولنا الشعر الحساني وعادات وتقاليد هذه المجتمع المترابط.

وقد ساعدتنا في ضبط ترتيب هده الخطة عدد من الدراسة السابقة أهمها جوانب من الحياة الاجتماعية في المجتمع الموريتاني خلال الفترة الاستعمارية1903-1960لطالبتين الطالبي مبروكة ومولاي شهرزاد.

الصعوبات:

ومن بين أحد أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة هي ضيق الوقت، وتزامن دراستنا في طور الماستر مع الوضعية الصحية التي مرة بها لبلد ولازال يعاني منها العالم، بالإضافة لقلة المصادر الحسانية غير الموريتانية في هذا الموضوع خاصة التي تتناول العادات والتقاليد واللهجة .

المدخل التمهيدي

المدخل التمهيدي :

نسب بني حسان وأهم فروعها:

شهدت إفريقيا في القرون الماضية توافدا مكثفا لقبائل شتى؛ فمنها من رأى فيها ملاذا يلجأ إليه من جور مستعمر غزى أرضه ونكل بأهلها صغارا وكبارا كما هو الشأن بالنسبة للقبائل الأندلسية التي فرت بعد أن أحكم الصليبيون قبضتهم على الأندلس، ومنها قبائل أخرى غادرت الجزيرة العربية لعوامل عدة ولأهداف وأغراض مختلفة؛ منها التجارة والاستكشاف والبحث عن موطن آمن وأرض خصبة وغير ذلك.

وقد كثرت البحوث وتباينت الآراء في أنساب وأصول عرب إفريقيا كما يطلق عليهم البعض، والملاحظ أن الاهتمام بأرومة هؤلاء وجذورهم الأولى لم يكن حكرا على الباحثين والمؤرخين العرب؛ بل إنه كان مما أثار اهتمام مؤرخي الغرب وإن كان غرضهم من ذلك كما هو واضح في كتبهم استراتيجيات حربية لفهم مكونات المجتمعات ودراسة ثقافاتهم وسبل حياتهم ليسهل اختراقهم وزرع الفتن بينهم، و كثيرا ما نجد في كتب هؤلاء طمس للحقائق وتشويه ممنهج لأخلاقهم وصفاتهم.

ومن تلك الشعوب قبائل بني حسان التي سنحاول في هذا المدخل -إن شاء الله- أن نقف على ما جاء في نسبها ونوجز بعض ما ذكر عن فروعها وأماكن تمركزها.

يذهب جل المؤرخين للقول إن بني حسان ينحدرون من قبائل (معقل) العربية، وهو اسم يطلق على إحدى القبائل التي هاجرت إلى إفريقيا في القرن11م (وقيل 14م)، فقد كان موطن معقل في ناحية من نواحي الجزيرة العربية وانتقلوا منها مع (بني سليم وبني هلال[1]*) إلى مصر ومنها إلى إفريقية وشرقي المغرب ثم عمروا "تافيلالت" و"سجلماسة" لفترة تحت طاعة المرينيين الذين خاضوا ضدهم حروب ألجأتهم للتوغل في إفريقيا نحو بلاد السودان.

ومن بين المؤرخين الذين أكدوا نسبة هذه القبيلة لمعقل المؤرخ الرحالة المغربي "حسن الوزان" حيث يقول في كتابه وصف إفريقيا:"ينتمي العرب الذين دخلوا إلى إفريقيا لثلاث قبائل حكيم، هلال، معقل...؛ وأما معقل ففروعها ثلاثة: مختار، عثمان، حسان؛ وحسان على ذوي حسان وذوي عبيد الله..."[2]

[1] سجلماسة بكسر أوله وثانيه وسكون الام بعد الألف سين مهملة مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان،ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3،ص217

[1] حماه الله ولد سالم: تاريخ بلاد شنقيط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2010ص164

[2] حسن الوزان: هو حسن بن محمد الوزان الفاسي شخصية عربية اسلامية فذة ينتسب إلى قبيلة بني زيات الزناتية الواقع مواطنها في أقصى غرب بلاد غمارة ولد سنة 1500م أشتهر برحلته الطويلة التي جالة بها أرجاء عدة منها بلاد السودان وصف إفريقيا، ترجمة محمد دجي ومحمد الأخضر، ج1، ط 2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان،1983،ص 7وص49

وهذا ما ذهب إليه "بول مارتي"[1] وغيره من المؤرخين الذين كتبوا عن النسب الحساني.

أما جذور قبائل معقل التي ينتمي لها بنو حسان فقد اختلف الكلام حولها –كما أورد ابن خلدون– على قولين؛ فالأول إلحاق الهلاليين أصول هذه القبيلة بهم، أما الثاني فهو ما ادعاه بنو معقل لأنفسهم من أن نسبهم يتصل بجعفر الطيار، وقد فند ابن خلدون كلا القولين مستندا إلى أن الأول غير صحيح ذاك أن جور بني سليم وبطشهم هو ما ألجأ معقل إلى التحيز للهلاليين والاحتماء بهم؛ كما أن القول الثاني أيضا برأيه لا يصح لأن الطالبيين والهاشميين ليسوا أهل بداوة ونجعة. أما الصواب في نظره هو أن القبيلة من عرب اليمن وبصفة أدق بطن من بني الحارث بن كعب ابن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج وهو معقل واسمه ربيعة بن كعب.[2]

ووافقه في هذا القلقشندي حيث ذكر في كتابه (نهاية الأرب)أن بني معقل بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف: بطن من بني الحارث بن كعب.[3]

على أنه في الحقيقة وإن كنا قد أوردنا رأي بن خلدون وما ساقه من أدلة تعضد وجهة نظره؛ إلا أنه يصعب الجزم بنسب القبيلة جزما باتا؛ فالاختلاف في هذا الشأن قديم و الآراء

[1] بول مارتي: القبائل البيضانية في الحوض والساحل وقصة الاحتلال الفرنسي، تعريب محمد محمود ا لودادي، ط 1،دار الكتب الوطنية ،ليبيا، 2001، ص9

[2] ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر...، ج6،ط1، دارالفكر، لبنان، 2000، ص79

[3] أبو العباس احمد القلقشندي:نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، تحقيق ابراهيم الأبياري ،دار الكتاب البناني، ط2، 1980، ص74

متباينة. وكون ابن خلدون وغيره رأوا نسبة هذه القبيلة لعرب اليمن لا يدحض نسبة أبناء القبيلة أنفسهم لذرية جعفر الطيار، فقالوا (بنو حسان بن المختار بن محمد بن عقيل بن معقل بن موسى الهداج بن جعفر الأمين بن ابراهيم الاعرابي بن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .[1])ومن بين المؤرخين الذين أيدوا هذا الرأي(خالد بن أحمد الناصري) صاحب كتاب "طلعة المشتري[2]" الذي رفع نسب جد بالناصر وصولا لجعفر طيار

فروع بني حسان:

بعدما تطرقنا لنسب الحساني وأصولهم والاختلاف القائم بين النسابين حوله ورجحنا نسبهم الجعفري وفق للقاعدة القائلة أن الناس مصدقون في أنسابهم، ننتقل الآن للحديث عن فروع هذه القبائل وعن أهم تقسيماتها وأماكن تمركزها في بلاد السودان.

ولكن قبل حديثنا عن الفروع الحسانية نستهل الموضوع بذكر أبناء معقل وفروعهم وصولا لذوي حسان، وهذا لضمان التسلسل عند الانتقال بين العناوين وترتيب الأحداث بشكل منتظم.

[1] الخليل النحوي :بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1978، ص33

[2] خالد بن احمد الناصري: طلعة المشتري ص1

جاء في المصادر أن معقل جدهم له من الولد(سحير) ومحمد فولد سحير عبيد الله وثعلب الذي ينتمي له الثعالبة ببسيط متيجة من نواحي الجزائر[1].

و أما محمد وهو الولد الثاني لمعقل فله خمسة أبناء وهم منصور وجلال وسالم وعثمان ومختار وقد تفرع عن كل واحد منهم عددا من البطون فمن منصور أولاد حسين وأولاد أبي الحسين وهما شقيقان والعمارنة أولاد عمران والمنبات أولاد منبا وهم شقيقان أيضا ويطلق عليهم جميعا الأحلاف[2].

وتفرع عن سالم وعثمان وجلال قبائل الرقيطات الذين كانوا ببادية بني مختار؛ وأما مختار وهو الولد الخامس لمحمد فقد تفرع عنه بطنان شبانات وبني حسان وهما قسمان بنو حسان الأكبر منهم قبائل أعريب وأولاد سعيد وبنو حسان الأصغر الذين نخصهم بدراسة[3].

1 أبناء حسان :

تتفرع من بني حسان عدة قبائل بحسب ما ذكره المؤرخون ونشير في هذا الجزء إلى بعضها مع الاكتفاء بالحديث عن أهم القبائل الحسانية القاطنة ببلاد السودان.ونوردها فيما يلي:

[1] ابن خلدون: المرجع السابق ،ص79

[2] حسين بن محنض: تاريخ بلاد شنقيط من أقدم العصور إلى مقدم الإستعمار،ص252

[3] حسين بن محنض :المرجع السابق،ص279

أ/**الرحامنة**: نسبة لجدهم عبد الرحمان بن حسان، دخل أكثرهم إلى أزواد في مالي واندمج بعضهم مع البرابيش.[1]

ب/**البرابيش**: أولاد حمه بن حسان، سكنوا أدرار ثم انتقلوا منه بعد حروب جمعتهم مع أولاد أدي إلى أزواد ونهر نيجر.

ج **أولاد دليم**: نسبة لدليم بن حسان له ولدان سنان ومعروف؛ فمن أولاد سنان: بن دليم أولاد المولاة بعض فروعهم الآن ضمن الرقيبات والبرابيش. ومن أولاد معروف: أولاد الشويخ، وأولاد الرميثة[2].

د/**أولاد عبيد الله**: ورد اسمه في بعض المصادر بعبيد الل بن اعمر بن حسان بن محمد بن يعقوب [3]

هـ/**أولاد أودي (الودايا)**:

وهم ثلاثة بطون: أولاد عروق بن أودي، أولاد رزك، وأولاد مغفر(المغافرة)

1/***أولاد عروق***: أولاد عروق بن أودي بن حسان ملأوا ولاتة وضواحيها ثم(العصابة) وبلاد السودان شرقا واستقر البعض منهم في أزواد بمالي حاليا، من فروعهم أولاد يونس، وأولاد داوود، وأولاد عقبة.

---

[2] حماه الله ولد سالم: تاريخ بلا شنقيط ،المرجع السابق،ص414وص425وص431

[3] حسين بن محنض: المرجع نفسه،ص255

2/**أولاد الرزقبن أودي بن حسان:** كانوا أول من دخل إلى بلاد الكبلة من بني حسان حكموا بلا الترارزة و البراكنة من ق9هـ إلى ق11هـ فروعها: أولاد بوعلي، أولاد خليفة ، الكتيبات، أولاد عايد، العساكرة، أولاد عبد الواحد ،أولاد رحمون، أولاد عطية، أولاد عمران .[1]

3/**المغافرة:** أولاد مغفر بن أودي بن حسان أوقعوا بأولاد الدليم يوم(شارة)سنة 1108هـ/1607من أهم فروعها:أولادعثمان، أولاد الناصر، الرميثات[2] ينظر: الملحق رقم 1.

مضارب بني حسان في بلاد السودان:

انتقل بنو معقل مع الهلالين من الجزيرة العربية إلى الشمال الإفريقي، طلبا للأمن و الاستقرار، إلا أن الخلاف الذي قام بينهم وبين السكان الأصليين(المرينيين) هناك أجبرهم على الخروج من بلاد المغرب والتوغل جنوب الصحراء متجهين إلى بلاد السودان[3] بعد طردهم من قبل المرينيين والقبائل العربية تنتشر في كل من.

[1] حسين بن محنض، المرجع السابق،ص256

[2] حماه الله ولد السالم، المرجع السابق ،ص414

[3] هي بلاد كثيرة، وأرض خصبة واسعة ينتهي شمالها لأرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى المحيط الأطلس ينظر: صلاح الدين المنجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، 1976، ط2، بيروت لبنان

وقد حدد ابن خلدون مناطق تواجد ذوي حسان بداية من دخولهم للمغرب فيقول في نصه:(ومواطن ذوي حسان من درعة إلى البحر المحيط وينزل شيوخهم في بلاد نول قاعدة السوس الأقصى فيستولون على السوس وما يليه وينجعون كلهم في الرمال إلى مواطن الملثمين من كدالة ومستوفة و لمتونة...[1]) وعند دخول القبائل الحسانية لبلاد السودان انتشرت في أرجاء البلاد خاصة السودان الغربي الدي شهد وفود عدد كبير من العرب وقد اطلقت عدة تسمية على المنطقة التي قطنوها منها؛ (بلاد التكرور) و(صحراء الملثمين) و (ارض شنقيط) ...الخ وسنذكر مناطق تواجد بعض القبائل الحسانية.

فقد سيطر أولاد دليم الغربيون على المنطقة الممتدة من وادي الذهب إلى شاطئ المحيط الأطلس وانتجع أولاد أدي في ما وراء ذلك من شاطئ إلى أطراف السودان وكان حم(البربيش) في قلب الصحراء من أكيدي إلى نهر نيجر[2] وبمرور الوقت أصبح بطون هذه القبائل منتشر في كافة ربوع بلاد السودان، خاصة السودان الغربي وبتحديد في كل من موريتانيا (بلاد شنقيط قديما) و مالي تحديدا في مدينة أزواد ،بالإضافة إلى كل من نيجر والتشاد ينظر: الملحق رقم2

[1] ابن خلدون ،المرجع السابق،ص76

[2] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مكتبة المنتدى الإسلامي، تونس ،1976ص32

الفصل الأول :

الحياة الاجتماعية للقبائل الحسانية

المبحث الأول: البنية الاجتماعية للمجتمع الحساني

إن المجتمع الحساني على غرار غيره من المجتمعات؛ يتكون من عدة طبقات اجتماعية تترتب بشكل هرم؛ أعلاه طبقة العرب أو المحاربين وهم أهل الشوكة والنجعة، أغلب هذه الطبقة من القبائل الحسانية المهاجرة وبعضها من أصول صنهاجية، تليها طبقة الزفانين (إيغاون) وهم يحترفون الموسيقى والشعر والغناء، ثم تأتي طبقة الصناع (المعلمين) أهل الحرفة من نجارة وحدادة وغيرها من الحرف اليدوية، ثم طبقة الحراطين وهم الموالي العتقاء، وفي آخر الهرم الاجتماعي تأتي طبقة العبيد الأرقاء.

وسنحاول في هذا المبحث التطرق لكل فئة على حدى والتعرف عليها وعلى دورها في المجتمع الحساني.

المطلب الأول: العرب المحاربون ومكانتهم

وهم بنو حسان؛ نسبة إلى حسان بن المختار بن محمد بن معقل، وهم يفتخرون ويعتزون بعروبتهم، وإن كانت العروبة عندهم تكليف بقدر ما هي تشريف من خلال حرصهم على الالتزام بأخلاق عرب المعقل الموروثة، خاصة ما تعلق منها بالبطولة والشجاعة والإقدام وبذل النفس والنفيس في ردع الأعداء[1].

وقد تحدث المختار بن حامد عن بعض العادات التي عرفوا بها فقال:" أما حسان فشيمتهم اقتناء السلاح ومداومة الكفاح وملك الرقاب واستلاب الأسلاب و الأخذ بالتراب وإدمان الغارات لا يكلون الدماء ولا يملون من مقارعة الأعداء أموالهم سلاحهم وحصونهم ظهور خيولهم .."[2]

[1] الطالبي مبروكة- مولاي شهرزاد: جوانب من الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال فترة الاستعمار من 1930_1960، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، إشراف د بوسعيد احمد، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، جامعة احمد دراية أدرار،2018-2019،ص16

[2] مختار بن حامد: حياة موريتانيا، جزء الثاني، الحياة الثقافية، دار العربية للكتاب، ص184

ويعتبر العرب الفئة العليا في السلم الاجتماعي، عرفت هذه الفئة بقوة سواعدها وحملها لسلاح وتعودها على الكفاح، فامتهنوا الغزو والإغارة على غيرهم من القبائل ونهب ممتلكاتهم وفرض ضرائب على كل من خضع لهم فتقلدوا منصب القيادة والسلطة العسكرية في المجتمع الحساني[1]. وعنهم يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: "إن حسان في أرض شنقيط لهم ضرر ونفع، وبعضهم أكثر ضرر من بعض. أما نفعهم فخوفهم بعضهم من بعض، لأن في ذلك نفعا للزوايا، فضرر حسان لمن جاورهم من الزوايا، أقل من ضرر البعيد عنهم. و ما أقول في قوم يعيبون من مات منهم حتف أنفه وإذا ذكر أحدهم ميتا له في معركة، يقول: مات مفترشا، يعني أنه قتل آخر)[2] و أكبر دليل على ما ذكر عنهم هي الحروب التي خاضوها فيما بينهم أو مع مجموعات أخرى، أبرزها حرب شربه[3] الأولى التي نشبت بينهم والزوايا[4] سنة (870 _875)هـ الموافق ل(1465 _1470) وشربه الكبرى التي جمعت عرب بني حسان بقيادة أولاد ناصر وصنهاجة الصحراء بقيادة دولة لمتونة وانتهت هذه الحرب بتغلب الحسانيين وانكسار شوكة صنهاجة لمتونةولعلى نتيجة الحرب كانت دافع الرئيسي لحركة التعرب السريعة في بلاد السودان فقوة سلاحهم وتحكمهم بزمام الأمور أرغمت القبائل الغير العربية على تخلي عن لغتهم واستبدلها باللغة الحسانية كما تبنوا عاداتهم وتقاليدهم وقد وظفنا مصطلح التعرب بدل التعريب وهو أمر راجع لكون

[1] حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنقيط ، المرجع السابق، ص14

[2] محمد الامين شنقيطي كاتب موريتاني ولد سنة1289هـ تلقى العلم على يد مشايخ شنقيط ثم انتقل للمشرق وزار مكة المكرمة واحتك بعلمائها وأخذ العلم عنهم لينتقل بعدها إلى مصر وهناك التقى بالسيد أمين خانجي الذي كان داعما له و وفر له كل مستلزمات التأليف، نبغ محمد الأمين الشنقطي في علوم كثير منها الفقه والأدب والتاريخ وألف بها عدة كتب، ينظر في كتابه الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط5، مكتبة الخانجي القاهرة، 2008، ص7وص

[3] يتكون مصطلح شربه من فرعين شر وتعني عندهم حرب وبه وهو شخص الذي وقعت الحرب بسببه، وقد وقعت هذه الحرب بين الزوايا والحسانين قيل إن دافعها الأساسي هو قيام الزوايا بإرغام به على دفع الزكاة لهم فستنجد ببني حسان الذين أغاثوه ونشبت الحرب بينهم والزوايا وقد سمية الحرب الثانية باسمها، ينظر محمد الأمين شنقيطي،ص

[4] الزوايا: أو الطلبة ومفردها زاوي وهي أحد فئات المجتمع الصحراوي ومن الناحية النظرية إن زوايا يتفرغون بحكم ووظيفتهم لتعلم المعارف الإسلامية وتعليمها والأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهي

القبائل الحسانية لم تبذل أي جهد ولم تحمل معها أي معارف لدعوة للغتها أو لهجتها وما كان انتشار اللهجة الحسانية إلى لتأثر الصنهاجيين بقوة وسيطرة بني حسان كما ذكرنا فيما سبق.

المطلب الثاني: الزفانون والصناع:

1/الزفانون(المغنون والشعراء):

يسمى الزفانون[1]في لغة البربرإيغاونمفردهاإيغو- وقد قيل إن هذه التسمية تحريفلمصطلح الغاوون؛وهي الصفة التي وصفبها الشعراءفي القرءانالكريم، وقد جاء في المصادر أنهم ينتمون لأصول مختلفة، فهم ليسوا من أصل واحد؛ فمنهم العربي والأندلسي وأغلبهم من التوارق والسودان، تحترف هذه الفئة الموسيقى والغناء والشعر،[2] وهم يرتبطون بشكل وثيق بالفئة العليا أهل الشوكة (بنو حسان) ويسعون لكسب رضاهم وولائهم، وهذا من خلال تمجيد زعمائهم والتغني ببطولاتهم ومدحهم والإثراء عليهم وعلى شمائل أخلاقهم، ولم يقتصر دورهم على هذا فحسب، فقد كان لهم دور كبير في أوقات الحرب من خلال أشعارهم الحماسية التي تقوي من عزيمة الجيش وتتغنى بأمجاده، وبالرغم من كل ما يفعلونه إلا أنهم لا يحظون بتقدير واحترام كل الفئات وربما احترافهم الغناء واللهو إنما هو لجذب وكسب تقدير الآخرين[3]. ولازالت هذه الفئة لحد الآن تقوم بالدور الذي عرف لها منذ القدم وإن كان هذا الدور في الوقت الحالي أصبح مقتصرا على غنائهم في الحفلات والمناسبات.

[1]الزفانون: من زفن أو الزفن وهو الرقص زفن يزفن زفنا وهو شبيه بالرقص وفي حديث فاطمة رضي الله عنها(أنها كانت تزفن للحسن أي تراقصه.) وفي حديث عائشة رضي الله عنها (قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفون ويلعبون أي يرقصون.) ومنه حديث عبد الله بن عمرو (إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والزفن والزمارات والمزامير والكنارات) .ينظر لسانا العرب لبن منظور ص1843

[2]مولاي شريفة: المحاضر وأثرها في المجتمع الموريتاني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، إشراف د بن سويسي محمد، قسم العلوم إنسانية، شعبة تاريخ، 2019_2020م،ص17

[3]حماه الله ولد سالم : تاريخ بلاد شنقيط المرجع السابق،ص15

2/الصناع(المعلمون):

وهي الفئة الثالثة في المجتمع الحساني وهم من أصول مختلفة منهم العرب ومنهم الزوايا أو صنهاجة الصحراء أو من(السوننكه)[1] ، وتعتبر ورقات الشيخ باي بن سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي أقدم وأهم وثيقة تحدثت عن هذه الفئة فقد جاء بها (وما ذكر عن الحدادين بديهي البطلان، إذ أنه من المعلوم أنهم لا يرجعون إلى أب واحد، وإنما جمعتهم الحرفة فمنهم من هو شريف الأصل؛ ومنهم من هو عربي. محض والظاهر من حال أكثرهم أنهم من السودان، وفيهم أئمة وأفاضل، وعوامهم كسائر العوام بل هم خير من كثير، فمن نسبهم إلى رق أو الشؤم أو أبطل شهادة من ظهرت عدالته منهم أو منع إمامتهم ضل و كذب وقال ما لا علم له به.)[2]

تمتهن هذه الفئة الحرف اليدوية من حدادة ونجارة وغيرها من الحرف؛ فيقومون بتوفير الأدوات التي يستخدمها المجتمع الحسان من سيوف وسكاكين ومهاريس خشبية، ولا تقتصر مهارة الصناع على هذا بل تتعداه إلى بلوغهم قمة الدقة والحرفية في إتقانهم لما يقومون به خاصة ما تعلق بفن زخرفة ونقش وتشكيل الحلي، ويعتبرون أكثر فئات المجتمع ارتباط وانتظاما نظرا للدور التجاري والاقتصادي الذي يقومون به في مجتمعهم[3].

[1] سوننك: هي أحد السلالات البشرية يطلق عليهم أيضا سرخوليوالماري تتواجد هذه الفئة بشكل كبير في دول غرب إفريقيا خاصة دولة مالي وقد اختلف علماء الأجناس في أصلهم فمنهم من نسبهم لقبائل الماندينغ وذهب آخرون للقول إنهم ينتسبون للبمبارا وهناك من قال انهم من شعوب البافور وأين كان نسبهم فأن قبائل سوونك هي أحد شعوب بلاد السودان التي امتزجت وتأثرت بالثقافة العربية التي اجتاحت بلادهم آنذاك ينظر: علي بكري سيسي، تاريخ المجتمع السنونكي في موريتانيا،ص19

[2] لم أتمكن من الوصول للمخطوط ونص مأخوذ من كتاب حماه الله ولد سالم المرجع السابق ص432

[3] حسين بن محضن: تاريخ موريتاني الحديث، المرجع السابق ص11،

المطلب الثالث: الحراطين والعبيد

1الحراطين(العتقاء):

أصل تسمية الحراطين بربري وكانت تنطق "أهرضن"، أطلقت على مجموع إيزكارن الأمازيغية التي كانت تمتهن الزراعة، ولم يسبق عليها أي رق، ثم توسع معناها فأصبح يضم العرب المنحدرين من أصول سودانية أو أي رقيق تحرر من الرق، وهناك من يرى أن بداية شيوع هذه التسمية كان عند وصول الإسلام إلى إفريقيا ودخول بعض الأرقاء به؛ فأعتقوا وسموا بإهرضن، وتم تعريبها خلال دخول عرب بني حسان لإفريقيا لتصبح حراطين[1]. تتميز هذه الفئة بالسمرة الداكنة أو السواد ورغم أنهم عتقاء إلا أنهم ليسوا على سواء مع الأحرار (العرب) فهم يحتلون مرتبة أدنى وملزمون بدفع ضريبة لأسيادهم القدامى والقيام ببعض الأعمال بحسب المناطق التي هم بها من حراثة ورعي وغيرها[2]

2/ العبيد:

هي أدنى فئات المجتمع الحساني، وتتكون أساس من مجموعات الرقيق التي انتقلت إلى بلاد السودان عبر تجارة القوافل، تزايدت أعداد هذه الفئة خلال فترة حروب الحاج عمر الفوتي ضد المجموعات السودانية التي كانت على الوثنية ورفضت العزوف عنها في ق19م، وليس كل الرقيق ذو أصل سوداني فهنالك الرقيق الأبيض القادم من المغرب عبر الهجرة والتحولات التجاري والبشرية التي عاشتها إفريقيا إبان هذا القرن. وتقوم فئة العبيد الأرقاء بأصعب الأعمال داخل المجتمع والمتمثلة في رعي المواشي وفلاحة الأرض والقيام بالخدمات المنزلية من تنظيف وطهي والاهتمام بالبيت وشؤونه، فالطبقة العليا ترى في قيامها بهذه الأعمال نوع من الذل والإهانة وانتقاص من شأنها[3]

---

[1] مختار ولد كاكه: مجمل تاريخ الموريتانين، رقم الايداع 870-2007، ط2، ص80

[2] مولاي شريفة: المحاضر وأثرها في المجتمع الموريتاني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، إشراف د بن سويسي محمد، قسم العلوم إنسانية، شعبة تاريخ، 2019_2020م،ص18و

[3] حماه الله ولد السالم: المرجع السابق ، ص16

المبحث الثاني: ملامح المجتمع الحساني ومظاهره

بعد ما تطرقنا للمجتمع الحساني من حيث بنيته وطبقاته، ننتقل للحديث عن التماسك والعلاقات الاجتماعية داخل هذا المجتمع بدء بالأسرة باعتبارها نواة المجتمع والتي تمده بجيل الصاعد والحريص على سموا ورقي الاجتماعي وصولا للأخلاق والمبادئ التي يرتكز عليه المجتمع الحساني، وإن تحدثنا عن المجتمع والأسرة فلابد من الحديث عن المرأة باعتبارها الفاعل الرئيسي في صلاح الأجيال، وفيها قال شاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وسنسعى في هذا المبحث لدراسة المجتمع الحساني، من حيث النظام السائد به والحياة الأسرية الداخلية، والآداب والأخلاق المتعارف عليها، كما سنتطرق لتنشئة الأبناء وتربيتهم وفق المبادئ والأعراف الحسانية، وفي آخر هذا المبحث سنذكر المرأة الحسانية ودورها ومكانتها داخل المجتمع.

المطلب الأول: الأسرة الحسانية أحوالها ونظامه

قبل حديثنا عن الروابط التي تقوم عليها الأسر الحسانية؛ لابد من التطرق إلى النظام الاجتماعي السائد لديهم؛ و هو نظام قبلي يقوم على أسس القرابة والانتساب لأصل واحد بغض النظر عن مصداقية هذا النسب فالمهم لديهم هو الشعور بالانتماء الواحد والدفاع عنه[1]

فقد تكون القبيلة عبارة عن تجمع بشري من سلالات مختلفة، لا تجمعها شجرة واحدة إنما جمعتها ظروف معينة؛ فتعايشت وانصهرت فيما بينها وحملت نفس الاسم [2]

[1] بوزيد علي: التربية على القيم من خلال الأمثال الحسانية، منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، الرباط، www.gerls;net

[2] الخليل النحوي:بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص37

ويترأسها سيدهم أو كبيرهم؛ الذي غالبا ما يكون صاحب جاه ونسب ومكانة لديهم وهو يحظى باحترام وتقدير الجميع، كما أن خيمة أو منزل رئيس القبيلة هي المكان الذي يجتمع فيه كبارها وسادتها لفك النزاعات والخصومات والتشاور في القضايا الداخلية للقبيلة، وأهم ما يسعى له الرئيس ضمان الأمن وفك النزاعات والحرص على الحفاظ على موروث الأجداد وحث الأجيال الصاعدة على التمسك والالتزام به.

فالمجتمع الحساني مجتمع محافظ، يدعو في خطابه إلى مجموعة من القيم والأخلاق الحسانية الموروثة التي من شأنها الحفاظ على تماسكه في ظل الانهيار والاندماج الأخلاقي الذي شهده العالم عقب موجة الاستعمار أو الاستدمار كما وصفه الشيخ البشير الإبراهيمي في أثاره، ولعل أهم هذه القيم ما تعلق منها بالأسرة والتربية.

الأسرة الحسانية (الخيمة):

يطلق على الأسرة في اللهجة الحسانية (الخيمة) وعلى تأسيسها (بناء الخيمة)؛ والبناء بمعنى الزواج أو النكاح، وهو مصطلح عربي أصيل. واعتبارا لدور الأسرة في التنشئة بوصفها نواة المجتمع الأولى فإن الخطاب الحساني طافح بالأمثال التي تحض على العناية بها بدء من حسن بنائها، مرورا بتنظيم العلاقات بين أفرادها وانتهاء بمساهمتها في البناء الاقتصادي والاجتماعي وهذا باعتبارها حجر الزاوية في المجتمع، فلا يتصور أن ينطلق المرء في الأرض تعميرا وإنتاجا وتفاعلا مع الغير دون كنف اجتماعي يعلمه أصول التعامل والتعايش.[1]

[1] عبد الله لطرش: الأمثال في لهجة الحسانية البنية الجمالية والصور الاجتماعية،آفاق علمية، مجلة ثقافية، المركز الجامعي علي كافي تندوف، العدد03، ص378

فالشارع الحساني يحث شباب المجتمع على الإسراع في بناء الأسرة، والعزوف عن التسكع؛ لماله من أثار في الانهيار الأخلاقي، فقد جاء في إحدى الحكم الحسانية "كل تاخيرة فيها خيرة كون الحرث وتاهيلة"[1]ونلتمس في هذه الحكمة الدقة والانسجام من خلال ربط الحرث (بالتتهيلة) والتي هي من الأهل، أي: الأسرة، فتأخير الحرث يؤدي لفساد الأرض فتصبح غير صالحة للزراعة كما يؤدي التأخر في بناء الأسرة للفساد والانزلاق ، وهي ظاهرة يتكبد العالم العربي والإسلامي أثارها في وقتنا الحالي؛ والتي من أسبابها التقليد الأعمى والابتعاد عن الدين والقيم والمبادئ الاجتماعية.

كما يدعوا الخطاب الحساني لحسن بناء الأسرة عبر اختيار الشخص المناسب وفق معايير جدية وفيه جاء (شوف الساس أما الزغب ينساس)[2]"وهذا المثال كفيل بتلخيص ما ذكرناه في السطر الأول؛ ويعني أن الإنسان يجب أن يرى نسبه وأخلاقه وعلمه بدل شكله ومظهره الخارجي وماله، فالزمن كفيل بأن يذهب بالشباب والمال والجمال، في حين أن إيمان الشخص وأخلاقه وأدبه وعلمه باقية ما بقي بل تبقى حتى بعد موته فتغرس في أبنائه وأحفاده الذين هم رجال المستقبل ونسائه.

كما أن المجتمع الحساني يعطي للأسرة مكانة هامة ويجعلها سبب التوازن الاجتماعي فيقول" لبلا خيمة بلا كرعة فالتراب" بمعنى لا نصيب له في الأرض ويموت اسمه بموته، كما جاء لديهم في السياق ذاته "لخلف ما مات "أي من ترك أبناء يحملون اسمه بعد موته وقد أدبهم في حياته فأحسن تأديبهم وتعليمهم كانوا له عملا صالحا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم نافع، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له". وشبه الخطاب الحساني المرأة التي ليس لها أولاد بالخيمة بدون أوتاد؛ أي: ركائز فقال "لمرا بلا ولاد كيف الخيمة بلا اوتاد [3] فمن المتعارف عليه أن الخيمة من غير الممكن وقوفها دون ركائز؛ كذلك المرأة بل الإنسان بشكل عام

[1] بوزيد علي: التربية على القيم من خلال الأمثال الحسانية، منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، الرباط، www.gerls;net

[2] بوزيد علي ،المرجع السابق، www.gerls;net

[3] بوزيد علي، المرجع نفسه

لن تدوم قوته وصحته وشبابه فهو بحاجة لمن يستند إليه في هرمه وكبره، وليس هنالك في الوجود سند أفضل من فلذ كبد الإنسان؛ أبنائه وأحفاده.

والأسرة الحسانية أسرة مترابطة، متلاحمة، لازالت تحافظ على موروث الأجداد في المعاملات والحياة داخلها، وغالباما يكون البيت أو الخيمة يجمع كل أفراد الأسرة، وعند ما نقول الأسرة فليست بمفهومه الضيق الأب والأم والأبناء؛ بل هي الجد والجدة والأعمام والأب والأم والأبناء وحتى إن تزوج الأبناء وشكلوا أسر مستقل فأن الخيمة الكبيرة تظل المكان الذي يجمعهم في جلسات الشاي والأعياد والمناسبات بشكل أعم .

ولأن بني حسان أهل بداوة في الأصل فإن الخيمة رغم أنها من جلد أو من قش في بعض الأحيان إلا أن لها مكانة عظيمة في نفوسهم فلا يشعر الفرد منهم بطمأنينة وراحة النفس إلا في ظلها ولذالك تجد البعض منهم يصعب عليهم تأقلم مع حياة المدينة بل حتى النوم تحت سقف الصلب وبين أربع جدران لما تعود عليه[1]

ليس هذا فحسب فهم متمسكون حتى بحياتهم رعوية وتربطهم بأغنامهم وإبلهم علاقة وطيدة فلا يتخلون عنها رغم مشاق رعايتها ويداومون على الاعتناء بها.

وللحسانيين أخلاق خاصة بهم منها التحرج من الطعام الغير الرفيع ومن لحم الغنم الصغيرة ومن أكل الرجل وحده أو بحضور أسن منه ولا يتصافح منهم بالكف إلا الأقران اما الكبير فيضع يده على منكب الصغير أو رأسه ولا يواجه الصغير الكبير بوجهه عند محادثته وهذا يظهر مدى الاحترام الذي يقدمونه لكبارهم [2]

[1] الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق،ص164

[2] المختار بن حامد: المرجع السابق، ص186

المطلب الثاني: تربية الأبناء

وهي مسؤولية قلة من يدرك عظمتها في وقتنا الحالي بحيث أضحى الاهتمام بالأبناء لايتخطى الاعتناء بمظهرم الخارجي وغذائهم والحرص أشد الحرص على مواكبة العالم المتحضر عبر توفير كل ما يؤمن راحة النسبية لهم لأنها ليست راحة تامة فراحت الانسان لاتكمن في مظهره ومايحيط به بل تكمن فيما يحمله قلبه من إيمان واحتساب وما تحمله نفسه من أخلاق وأداب وما يحمله عقله من ثراء علمي وفي هذا المطلب سندرس تربية الأبناء في المجتمع الحساني وتعليمهم وكيف يتدرجون في تلقينهم العلم و يكون هذا على ثلاثة مراحل.

المرحلة الأولى

إذا بلغى الطفل خمس سنين يختبره قدرته على الحفظ والتعلم وهذا عبر تلقينه الأرقام من واحد إلى عشرة إذا نجح في تعلمها دون تقديم أو تأخير فيعلمون أصبح جاهز لتعلم والعكس صحيح وأكثر من يتول تعليم الصغار في هذا السن هم النساء من الأقارب أو من خارج الأسرة فهناك نساء يقمن بتدريس الصغار وتلقنهم مبادئ القراءة والكتابة ويتخصصن في ذالك ويبدأ الطالب بتعلم حروف الابجدية ويتعلم تشكيل الحروف وكتابها وقرأتها بشكل صحيح بعد تمكنهم ينتقلون لحفظ القرأن وقرأته وتعلم التجويد وأصوله ثم ينتقل لحفظ المتون البسيطة في البداية،هذا في المرحلة الأولى[1].

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة تعليم الثانوي ويسمى طالب بها ولدا الزاويا بمعن أنه بعيد كل البعد عن الجهل وتسمى أيضا بمرحلة فرض العين ولعلى سبب تسميتها بهذا الاسم كون طالب أو الطفل بلغ سن الرشد فأصبح بحاجة لمعرفة أحكام الإسلام لأنها أضحت فرض عين عليه فيحفظ متون في الفقه والعقيدة واللغة

[1] يوسف مقلد:موريتانيا غابرها وحاضرها ،المجع السابق، ص368

المرحلة الثالثة:[1]وهي مرحلة تعليم الجامعي يسمى طالب بها المنتهي أي أنه استوعب ما لدى شيخه ويجوز مناداته بالعالم كما يحق له تأسيس محضرة خاصة به وتدريس بها أو الهجرة خارج البلد لاكتساب علوم اخرى وتوسع وزيادة معارفه[2]

هذا من ناحية تعليم الأطفال أما من ناحية تربية الخلقية لطفل فأن الحسانين أهم خلق يسعون لزرعه في أولادهم الشجاعة فيفتخرون بشجاعتهم في الحروب ويقصون على الاطفال قصص امجادهم وتجد هذه القصص فيها شيئا من المبالغة إلا أن الهدف منها كما قولنا غرس شجاعة والإقدام في نفوسهم ويربى الصغير ويدرب على الفروسية خاصة ويقوم بهذه المهمة الحدادون والمطربون والخدم الذين يحسنون ركوب الخيل والإبل ورماية والصيد.[3]

أما الفتاة عند صغرها شأنها شأن الأولاد تقضي نهارها في اللعب والرعي، ولكن حين تتعدى سن السابعة تصبح خاضعة لمراقبة أمها التي تمنع عليها الذهاب لأي مكان؛ خاصة البعيد دون مرافقة من أهلها وأن لاتصل سوى أقاربها وهي لا تخضع في هذا السن لقواعد صارمة ولكن تسعى الأم لتدريبها على حسن الخلق والسلوك .كما أنها تلتحق بالمحضرة في سن مبكر ولا يمكن أن تبلغ سن الرشد إلا وقد حفظت القرءان وبعض القواعد في العقيدة والفقه وفي هذا السن يصبح من المحتم عليها أن ترتدي الزي التقليدي(الملحفة)[4]

[2]مسعد حسين بن محمد: وقفات على بلاد شنقيط، الدار العالمية لنشر والتوزيع، ط1، 2019، ص

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص164

[4] محمد الصافي: شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي، مجلة الثقافة الشعبية، مجلة ثقافية، العدد41

المطلب الثالث: مكانة المرأة

المرأة الحسانية لها دور بارز في المجتمع ،وهي محترمة إلا أبعد الحدود فهي لا تضرب ولاتهان ولا تشتغل أيضا إلا في حالة فقر الأسرة، بحيث لابد لها من عامل أو عاملة يقوم بخدمتها[1]

وقد لخص المختار بن حامد مكانة المرأة فقال:(نساء أهل القطر، كأنهن لم يخلقن إلا لتبجيل والإكرام والتودد لهن، فلا تكليف عليهن ولا تعنيف عليهن، هي سيدة كل ما يتعلق بالبيت من متاع وما شابه والرجل كالضيف فلها أن تفعل ما شأت دون اعتراض عليها...وليس من العادة أن تفعل شيئا في البيت إلا أن تكون في بيت فقير فتفعل من ذلك مالا يناسب الرجال مباشرته...)

كما تميزت المرأة الحسانية أيضا بدورها العلمي، حيث كانت العالمة والمتعلمة والمعلمة اذ تتعلم الفتات القران في سن مبكر ثم ترتقي للمحضرة كما ذكرنا سابق فلا بد للمرأة من رصيد علمي، فهي المدرسة الأولى لطفل وهي نصف المجتمع إن لم تكن كله فهي نصفه وتلد نصفه الآخر

في بادئ الأمر اقتصر تعليم على بنات ونساء العلماء وطلبة العلم والفقهاء ثم انتقل بعد ذلك إلى شرائح المجتمع الأخرى، فكانت النساء يسعين لاكتساب مختلف العلوم: في الفقه والسنة، ويحرصن اشد الحرص على اقامة الشعائر والحفاظ على ال>كر والاستغفار، فالمرأة الحسانية محافظة بطبعها محجبة بزيها التقليدي الفضفاض لا تصافح الرجالة ولا تخالطهن مدركتن لدورها ومسؤوليتها كأم ومعلمة ومدرسة يصلح المجتمع بصلاحها.

[1] محمد سعيد كشاط: صحراء العرب الكبرى، دار الرواد لنشر والتوزيع، 1994، ليبيا، ص162

الفصل الثاني :

الحياة الثقافية لقبائل الحسانية

المبحث الثاني: اللهجة الحسانية وآدبها

تعد اللهجة الحسانية إحدى أقرب اللهجات العربية الحديثة للغة الأم(اللغة العربية الفصحى)؛ فهي مع ما يتحلى به أهلها من أخلاق العرب واهتمامهم بالفنون الأدبية شعرا ونثرا؛ دليل على عروبتهم كما أنشد شاعرهم:

إنا بني حسن دلت فصاحتنا أنا إلى العرب العرباء ننتسب

إن لم تقم بينات أنا عرب ففياللسان بيان أننا عرب

ويبرز ذلك التقارب جليا في تراكيبها اللغوية وبناء مفرداتها ودلالاتها، وإن كانت لا تخلو من بعض الدخيل الذي شابها لعوامل مختلفة؛ منها ما هو تاريخي وآخر جغرافي اجتماعي، وفي المطالب التالية نبسط -بإذن الله- الكلام عن هذه اللهجة من حيث تعريفها وذكر خصائصها وأشهر فنونها الأدبية.

المطلب الأول: تعريف اللهجة الحسانية

قبل بسط مفهوم (الحسانية) باعتبارها لهجة من اللهجات العربية الخاصة؛ لابد من معرفة معنى ومفهوم لفظ (اللهجة) في اللغة والاصطلاح، وهو ما نذكره فيما يلي:

أ) **لغة:** جاء في لسان العرب"لهج بالأمر لهجا؛ ولهوج، وألهج، كلاهما: أولع به واعتاده...واللهج بالشيء؛ الولوع به، واللهجة واللهجة؛ طرف اللسان. ويقال: فلان فصيح اللهجة واللهجة؛ هي اللغة التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها"[1]

ب)اصطلاحا: عرفها إبراهيم أنيس بأنها "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة... وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات،

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج:5، مادة: لهج، ص4084

هي التي اصطلح على تسميتها باللغة"[1]، وبالنظر إلى التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتضح أنهما يصبان في منبع واحد وهو أن اللهجة هي ما يعتاده الإنسان من صفات لغوية ويشاركه في ذلك أبناء بيئته.

التعريف باللهجة الحسانية:

لاشك أن سبب اصطلاح هذا الاسم (اللهجة الحسانية) عليها هو من باب إضافة اللسان إلى أصحابه(بني حسان)؛ وهي لهجة مشتركة بين عدة مناطق وأقاليم في إفريقيا، فالحسانية هي "اللهجة العربية المنطوقة في الصحراء الغربية في مفهومها الجغرافي والتاريخي الواسع حيث تنتشر فضلا عن الساقية الحمراء ووادي الذهب في موريتانيا وجنوب المغرب وجنوب غرب الجزائر وشمال مالي وبعض مناطق السنغال والنيجر"[2]، إضافة إلى أنها "لغة إقليمية حلوة ترمز إلى المفردات الفصيحة رمزا جميلا ...ولذا تراها تلتقي مع اللغة الفصحى المكتوبة التقاء جد قريب"[3]، وهذا ما سيظهر جليا فيما سنأتي عليه في ثنايا هذا البحث.

1)الخصائص الصوتية:

تنطق معظم الحروف في الحسانية نطقا صحيحا موافقا للسان العربي الفصيح، الأمر الذي تفتقده الكثير من اللهجات العربية؛ فنجد الحروف اللثوية تنطق من مخرجها الصحيح، في مثل قولهم الثورة، والذيب، والظلام،مع العلم أن بعض العرب يغيرون مخرج هذه الأصواتفيلفظون الكلمات السابقة هكذا التورة أو السورة، والزيبوالزلام.

أما فيما يخص الحروف التي يبدلها الحسانيون بأخرى فنجد منها حرف الضاد الذي يجعلونه أحيانا ظاء وفي هذا يقول محمد المختار ولد اباه :" ولو كنا نلاحظ عدم وجود فرق بين الضاد والظاء

[1] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص16

[2] غالي الزبير، نظرات في اللهجة الحسانية، ص25

[3] محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة:ص130

(فالضالة) و(الوضوء) و(العض) تنطق في اللهجة الحسانية مثل ما تنطق الظاء"[1] فيقولون مثلا : الظو في الضوء، والوظوء في الوضوء، والظيف في الضيف، ومن تلك الحروف الغين التي يبدلونها قافا أحيانا، نحو: قبار في غبار، وقروب في غروب، وقيمة في غيمة، إضافة إلى نطق القاف أحيانا كافا معقودة أو جيما مصرية كما يطلق عليها البعض، ويظهر في مثل قولهم: گادي في قادي، بمعنى مشتعل، و گص أي: قصّ، وصاگ في ساق.مع العلم أن هذا ليس عجزا عن نطق هذه الأصوات من مخارجها فهي تنطق في كثير من كلامهم سليمة في مثل: المرض، الأرض، الضلال، وغالب، ومغرف، ويجغم.ونوافق الدكتور غالي الزبير في قوله:" إن الاستبدال في بعض الكلمات دون غيرها يظهر القدرة على التلفظ السليم بها؛ ويشير إلى أن الاستبدال يأتي عن قصد لا عن عجز"[2]

كما يبرز ميولهم لتغليظ بعض الحروف وتفخيمها مع إبدال المستفل مستعل، مثل: متصلط في متسلط وضرص في ضرس وقاصي في قاسي. وهذا أمر شائع في اللهجات العربية القديمة والحديثة. ويعود سبب قلب السين صادا كما يقول إبراهيم أنيس" لمجاورتها أحد حروف التفخيم لضرب من المماثلة"[3]

2) الخصائص النحوية:

للحسانية خصائص تشاركها فيها العديد من اللهجات الحديثة؛ لاسيما ما تعلق منها بتراكيبها اللفظية والنحوية، فهي تميلإلى إهمال القواعد النحوية وبخاصة التسكين ونبذ الحركات الإعرابية، ومن الخصائص التركيبية التي تعد من سمات اللسان الحساني نذكر ما يلي:

[1] محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، ص16

[2] غالي الزبير، نظرات في اللهجة الحسانية، ص78

[3] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص128

أ)**اختلاف تصريف الفعل مع بعض الضّمائر**: ففي اللّغة العربيّة يقال: أنا أكتب، نحن نكتب، أنت تكتب، أنت تكتبين، أنتم تكتبون، في حين يقول الحسانيون: آنا نكتب، نحنَ نكتبو، أنت تكتب، أنت تكتبي، أنتوماتكتبو، وعلى هذا النحو تأتي جميع الأفعال مصرفة في الحسانية.[1]

ب)**ثبوت لغة (أكلوني البراغيث) في الحسانيّة**: ورد في كتب النّحو أنّ بعض اللّهجات العربية القديمة كانت تصل "واو الجماعة بالفعل مع أن لهذا الفعل فاعلا هو اسم ظاهر مذكور بعد الفعل"[2]، وهذا ما نجده شائعا في كثير من اللهجات العربية الحديثة، ومنها اللهجة الحسانية؛ حيث نجدهم يقولون مثلا: گالو راجلين، بمعنى قال رجلان، وعاهدوني الرجالة؛ أي عاهدني الرجال، وهي كثيرة في تواصلهم ومحادثاتهم اليومية.

ج)**إثبات المضاف والمضاف إليه بدون استعمال كلمة زائدة**: وهي من خصائص الفصحى التي لم تحرف في اللسان الحساني كما حدث في كثير من اللهجات العربية؛ حيث يفصل بعض العرب بين المضاف والمضاف إليه بكلمات مخصوصة من قبيل(انتاع، ابتاع، اديال...)في حين يقول بنو حسان مثلا: دار آل محمد، شاة الراجل، گبر فلان...الخ.

د)**يأتي المثنى دائما في حالةالنصب حتى لو كان في حالة الرفع أو الجر**: وذلك من قبيل قولهم "(جاو راجلين) و(ريت راجلين)، و(تكلمت مع راجلين)، فلا يقال رجلان في حالة الرفع، أو رجلين في حالة الكسر كما هو الشأن في الفصحى"[3]

3) الخصائص الدلالية:

من أبرز ما يبين الجذور المتينة التي تصل الحسانية باللغة العربية الفصحى؛ هي مفرداتها التي لا يتذوق طلاوتها وحسن دلالتها إلا من تشرب من معين العربية وغاص في أعماق شنقيط وأزواد حيث

[1] ينظر: غالي الزبير، نظرات في اللهجات الحسانية، ص91

[2] ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص101

[3] غالي الزبير، اللهجة الحسانية، ص91

البيئة البدوية بأهلها البسطاء الكرماء، وحياتهم الهادئة التي تشبه في كثير من جوانبها ما تصوره الكتب والمصادر القديمة عما كان عليه العرب الأوائل في الجزيرة العربية في أخلاقهم وأعمالهم وارتجالهم الشعر وتفاخرهم بالأنساب والقبائل. كما أنه قلما تسمع كلمة في هذه اللهجة —وإن استغربتها الأذن– إلا ووجدتها في معاجم العربية؛ إن هي بعينها أو مع تحريف عامي بسيط، وهذه أمثلة قليلة عن ذلك:

المهراز: إناء خشبي –في الغالب–يستخدم للطحن، وهو معروف عند العرب باسم (المهراس) جاء في مقاييس اللغة: "حجر منقور لعله يدق فيه الشيء"[1]

التركة: الأولاد، والظاهر أن اصطلاح هذا اللفظ مجازي ذلك أنهم اعتبروا أولاد الرجل جزءا من تركته أو ما يخلفه بعد موته.

العزبة: يطلقونه على الفتاة الصغيرة والشابة غير المتزوجة وهو المعنى العربي ذاته، ورد في اللسان: "امرأة عزبة وعزب: لا زوج لها"[2]

المستغيبة: هي عندهم المرأة التي سافر زوجها، والكلمة فصيحة، والعرب تقول (مغيبة).

لفريگ: يطلقونها على مجموعة من الخيام(الأسر) ، وفي اللسان هي «الطائفة من الناس وهم أكثر من الفرق»[3]

لتاي: وهو تحريف عامي للشاي الشراب المعروف.

الزبرة: وهي آلة يشتغل عليها الحدادون (المعلمين) والمعنى نفسه ورد في لسان العرب حيث جاء فيه:«زبرةالحداد:سندانه»[4]

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، مادة:(هرس)، ص46

[2] ابن منظور لسان العرب، مج:4، مادة(عزب)، ص2923

[3] المصدر نفسه، مج:5، مادة(فرق)، ص3398

[4] المصدر نفسه، مج: 3، مادة(زبر)ص1805

الدخيل في اللهجة الحسانية:

لقد كان لاحتكاك عرب بني حسان بمن جاورهم من الشعوب الإفريقية والأعجمية، مع الغزو الاستعماري الفرنسي لإفريقيا أثر لا يخفى، وأكثر ما يظهر ذلك الأثر في بعض المفردات والألفاظ الدخيلة التي شاعت على ألسنة العامة والخاصة منهم، وللتوضيح نرد بعض الأمثلة:

– مفردات دخيلة من اللغة الفرنسية:

كوزينة: مطبخ

بوتيك: محل أو دكان

وتة: سيارة

تباكة: التبغ(أو كما يدعوها بعضهم الشمة)

– مفردات دخيلة من الأمازيغية أو التارقية:

أركاج: بمعنى إنسان

أفكراش: بمعنى فتى أو شجاع

تيشيرت: أي: فتاة

– مفردات دخيلة من لغات إفريقية:

گرتة: الفول السوداني

مارو: الأرز

المطلب الثاني: الشعر الحساني

إن مما يشهد لدور بني حسان في نشر لسانهم وخدمة العربية الأم، هو ذلك الموروث الزاخر الذي حفظته لنا المصادر الأدبية، والكتب التاريخية؛ حيث نلمس في تلك النصوص طول باع هؤلاء القوم في قرض الشعر(الفصيح منه والعامي) وارتجاله، وهي سمة أسلافهم من العرب الأقحاح. ولازال ذلك مما يجذب في الرجل الحساني حتى وقتنا الحالي، لاسيما الشناقطة الموريتانيون.

ونعرف الشعر الحساني أو ما يسمى ب(لغنى) فيما يلي مع لمحة موجزة عن خصائصه.

1)التعريف بالشعر الحساني:

يذكر محمد المختار ولد أباه أن الأزجال الشعبية دخلت إلى صحراء صنهاجة مع دخول عرب المعقل، حيث كانت متمثلة في السير والأناشيد والمقطوعات الغزلية. ثم تطور هذا النوع من الشعر فواكب الشعر الفصيح في نموه وازدهاره؛ حتى كان أكثر انتشارا منه ولهذا كان ذو صلة مباشرة بالتعابير الموسيقية وبهذا أطلق عليه اسم (لغن)[1]، وهذا النوع من الشعر الشعبي الملحون منتشر بصفة واسعة بين الحسانيين حتى لا تكاد تجد رجلا أو امرأة لا يتقنه.

2)خصائص الشعر الحساني:

من خصائص الشعر الحساني أنه "غير مقنن تقنينا عروضيا صارما، بل كانت أوزان الشعر الحساني يطبعها اضطراب شديد"[2]

[1] ينظر: محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، ص17

[2] المختار ولد كاكية، الموسوعة الشنقيطية، ص45

كما أن له مصطلحات وأسماء خاصة، تطلق على كل جزء منه؛ حيث" تدل المصطلحات المستعملة في أعاريضه وبحوره؛ أن أصوله تعود في أكثرها إلى اللغة العربية"[1] ، نوجز أهمها فيما يلي:[2]

-البت: وهو البحر في الشعر العربي الفصيح وتجمع على لبتوتة، وهو تحريف لكلمة بيت.

-الگاف: تطلق على البيتين منه، وهو الاستعمال العامي للقافية.

- التافلويت: الظاهر أنه لفظي أعجمي، يطلقه الحسانيون على الشطر من الشعر الحساني، وتجمع على تفلواتن.

- امغنّ: وهو الشاعر الحساني وتجمع على امغنيين أو امغنين.

- الطلعة: هي قطعة تتألف من عدة أبيات في شكل خاص.

- العگرب: وهي التافلويت الرابعة من الطلعة أو العامود الثاني منها.

المطلب الثالث: الأمثال الحسانية

تعتبر الأمثال بعامة نوعا من الأنواع الأدبية الشعبية التي تحمل في ثناياها جوانب من ثقافة تلك الشعوب، والأمثال الحسانية خير دليل على ذلك.

مفهوم المثل الحساني:

إن المثل الحساني ذو خاصية منفردة فهو كما وصفه الدكتور غالي الزبير"تعبير مجنح" وسبب ذلك كما يقول: "أن المثل له مصدر ومورد بخلاف القول الشائع الذي ليس له قصة أو واقعة معينة تستعاد عند وقوع ما يشبهها فيمثل بها، وسميناها هنا "مجنحة"(التعابير أو الأمثال) لأنها تنتقل من قائل إلى مستمع، وتطير من وسط إلى آخر، بل ومن حقبة زمنية إلى أخرى فتشيع وتنتشر كحكمة

[1] محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، ص17

[2] ينظر: بابا احمد ولد البكاي، جامع التراث الشعبي، ص10-11، والشعر والشعراء في موريتانيا، محمد المختار ولد أباه، ص17

أو قول مأثور يقوي الكلام ويثبت الحجة ويدعم المقصود"[1]، كما جاء في مجلة آفاق علمية كتعريف للمثل الحساني: " هو شكل من الأشكال التعبيرية الجماعية التي تحمل فلسفة وتجارب وطريقة عيش السلف، فالمثل هو الصورة الصادقة لما عاناه السلف من ويلات وآلام وأحزان ومسرات وما ساد بين أوساطه من تقاليد وعادات وقيم وطموحات وسخرية لاذعة ."[2]

معاني الأمثال الحسانية:

الأمثال الحسانية وعاء جامع للأخلاق العظيمة التي يتخلق بها المجتمع الحساني في تعاملاته، فنجد منها ما يحث على الفضائل ونبذ كل ما يشين المرء ويقدح في مروءته ويخل بالأدب العام، مع تشبع بارز لهذه الأمثال بالقيم الإسلامية السمحة وتأثرها بالمثل العربي الفصيح. وهذه الأمثال في معانيها العامة "تعد خلاصة جامعة بين المعنى اللطيف والمبنى الموجز الخفيف الذي لا يستثقله اللسان ولا يمل أهل البيان من بني حسان من استخدامه في محله وموجبه، مدحا لخلق حسن وقدحا في سلوك شائن أو مستهجن، ومن الأهمية بمكان استخلاص القيم الثاوية بين ثنايا تلك الأمثال ونقلها للمتعلمين نقلا بيداغوجيا[3] وهذه بعض الأمثلة الحسانية نسوقها مع شرح موجز لمعانيها وما تزخر به من قيم:

إلّ اخّوت في الغز ما يبتطافلخيام: أخوت بمعنى إخوته، والغز بمعنى الجيش الغازي، وما يبتط بمعنى ما يضرب، ولخيام جمع خيمة، ومعناه كما ذكر صاحب الوسيط: أن من علم أن له أنصارا ، ولو كانوا غائبين، يمنعه ذلك من ظلم الناس له.[4]

إل گالكيگول فيك: أي: من قال لك أمرا على سبيل الغيبة فإنه يقوله عنك لغيرك. وفيه تحذير من النمام والمغتاب.

[1] غالي الزبير، في اللهجات الحسانية، ص54

[22] مجلة آفاق علمية، مجلد:13، العدد: 03، 2021، ص370

[3] مجموعة من الباحثين، إدماج الثقافة الحسانية في منظومة التربية والتكوين، ص51

[4] أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص542

إل وصاك عل أمك حگرك: بمعنى حقرك. يضربه الحسانيون للدلالة على أن الشخص الذي يوصيك بالاعتناء بمن لا يسعك إهمال أمره؛ مثل أمك، فقد احتقرك وقلل من شأنك.[1]

[1] ينظر: أحمد بن لمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم علماء شنقيط،ص550

المبحث الثاني: العادات والتقاليد الحسانية

إن مما جبل عليه الله تعالى البشر حب الاجتماع والائتلاف فيما بينهم فالإنسان بفطرته يميل إلى العيش مع الجماعة ومع مرور الوقت وطول الألفة تنشا لدى هذه المجموعة عادات وتقاليد تميزها عن غيرها والمجتمع الحساني احد هذه المجموعات ومن خلال هذا المبحث سنحاول أن نعرض بعض الأمور التي تميز بها الحسانيون دون غيرهم خاصة ما تعلق منها باللباس والغذاء والاحتفالات الدينية والاجتماعية.

المطلب الأول: الزي التقليدي.

يعتبر الزي التقليدي موروث مقدس لدى الحساني فلا يمكن الاستغناء عنه أو استبداله رغم امتزاجهم واختلاطهم بعدت شعوب وقد وصف الشيخ الأمام ابن ماء العينين اللباس الحساني فقال:"اغلبها البساطة كما تقتضيه الحرارة الهواء وبداوة السكان ولا يلبسون غالبا إلا الكتان فالرجل لباسه المعروف:الدراعة أي قميص واسع الكمين مفرط في العرض وقد يكون له جيب من الأمام ورداء اسود من (الميلس) أو من (آفرآويل) حولي أومن (الدماس)وقلما يظاهرون ثوبين إلا في شدة البرد وقد يتأنق أهل الترف تأنق عجيبا من تطريز ... والسواد هو المتعارف عليه إلا أن البياض والخضر في الدراعة تزداد..." [1]

1/ويتكون زي الرجل الحساني من خمس قطع أساسية وهي كالآتي:

[1] المختار بن حامد: المرجع السابق، ص179

الدراعة: هي الثوب الذي يرتده الرجل ولها في الغالب لونان الأزرق والأبيض هذا حدثا أما قديما فكان لها لونان الأبيض والأسود وليست كل الدراريع متشابهة فهي لا تختلف في الشكل ولكنها تختلف في نوع (الخنط)[1] قماش الذي صنعت منه[2] ولدراعة نوعان :

أ/الدراعة المجيبة: وهي دراعة مدوبلة- كما يقول الحسانيون- (وأصل الكلمة فرنسي وهو double بمعنى مزدوج)غليظة ومزركشة كثيرا، ولها جيب واسع في الأمام مزركش هو الآخر

ب/الدراعة العادية: وهي خفيفة ولينة وليست مزركشة كثيرا يحبذها الحسانيون في الصيف والأيام الحارة

اللثام أو العمامة (الحولي):واللونان المفضلان منه؛ الأبيض و الأسود وهو الغالب لكثرة استعماله وتحمله للأوساخ نظرا لحرارة جو الصحراء وجفافها، وتكمن فائدته في كونه يقي من أشعة الشمس ومن العواصف الرملية التي تعرف بها الصحاري والمناطق الجنوبية، وتختلف طريقة لبسه فقد يستخدم خلف العنق أو يلف حول الرأس[3].

سروال الدراعة: وهو سروال فضفاض وهو نوعان (صبينصة) و(ستمبو) وقد يكون طويل أو قصير

القميص: يلبس أسفل الدراعة هو قميص قصير الكم مزركش بخيط أصفر بنفس الطرز الذي على الدراعة[4]. ينظر للملحق رقم

ويلبس الصبي (غشابة) هي عباءة صغيرة وعند ما يكبر يلبس الدراعةينظر الملحق رقم3[1]

[1] هو مصطلح من اللهجة لحسانية لازال مستخدم لحد الآن وأصل هذا الفظ من كلام ازناكة يجمع على أخناط وهو القماش وفي بعض اللهجات الأمازيغية في المغرب وخاصة قبيلة آيت عطا يسمون صاحب القماش وبائعه بوخنيط ينظر كتاب أمروك الحرف وهو أول تأليف بلهجة الحسانية مجهول المؤلف حققه سيد احمد ولد الأمير وقدمه عبد الودود ولد الشيخ

[2] الطالبي مبروكة ومولاي شهرزاد: جوانب من الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية1903-1960 المرجع السابق، ص

[3] الموقع الثقافي لصحراء: الموضة واللباس www.shara-cultur.com.

[4] سليم النجاعي، موسوعة العالم العربي، المرجع السابق، ص18

2/اللباس النسائي:

وقد تحدث الشيخ الإمام ابن ماء العينين **عنه** أيضا فقال:"...وتلبس المرأة الملحفة سوداء تنسحب إلا قدميها، تلتحف في بعضها مثل القميص وتجعل البعض الآخر فوق رأسها ثم تجعل طرفه أمامها وترمي جانبه الأعلى فوق منكبها الأيسر...وتلبس الصغيرة دراعة."[2]

هذا ما قاله الشيخ عن الزي النسائي فالمرأة الحسانية يتكون لباسها من قطعتين أساسيتين هما:

الملحفة: ثوب ترتديه النساء وهو اللباس الوحيد الشائع كاللباس رسمي، وهي تختلف من حيث القماش الذي صنعت منه، أشهرها النيلة بحكم أهميتها لديهم. وللملحفة عدة أصناف منها:

النيلة:وهي المفضل لدى النساء خاصة الكبيرات وهي نوعان (التاج) و(النمر) وسميا بذلك لصورتي (التاج) و(النمر) عليهما الأول أجود والثاني أكثر طلاء وأزهى)[3]

وهناك (الملفي) و(صفانة) و(شنظورة) و(كتكان) وهو براق بدون صبغة، و(سمبورس) و(فلتور) و(الشعلة) و(الروم) و(دماس). ومن الملاحظ عليها أنها تحمل أسماء غريبة أجنبية؛ وهذا لأن كل هذه الأقمشة مستوردة، فكان الحسانيون يسمون القماش إما على التجار أو البلد أو المدينة التي أحضر منها[4] إلا أن منها ما سمي باسم عربي نسبة للونها أو شكلها مثل: (رش المطر) سمي بهذا للونه و الزركشة التي عليه وهي تشبه المطر، و(الخياطة) ...إلخ، وبالإضافة للملحفة هناك (الرنباية) وهو رداء يلبس تحت الملحفة [5]

---

[1] المختار بن حامد: المرجع السابق، ص179

[2] المختار بن حمد: حياة موريتانيا الثقافة، المرجع السابق، ص179

[3] مجهول المؤلف: امروك الحرف، تح

[4] الموقع الثقافي لصحراء (الموضة ولباس)www.shara-cultur.com

[5] سليم النجاعي: موسوعة العالم العربي، دار الثقافة الجزائرية، ط1، 1431هـ-2010م، ص18

هذا بالنسبة لزي النساء الحسانيات، أما بالنسبة لتسريحاتهن فيغلب عليها الظفائر؛ فيظفرن شعرهن بطرق خاصة بهن[1] منها: (سنمانة) و(بوكريعات)؛ وتفضل النساء الكبيرات ظفيرة خاصة بهن وهي (قوفة)، مع العلم أن لكل تسريحة حلي خاص بها ينظر للمحق رقم4.

المطلب الثاني: الغذاء التقليدي

ويتمثل في نوع الأغذية التي يستهلكها المجتمع الحساني وقد قسمته إلى قسمين الأطعمة والشراب وهي كالآتي:

كان الحسانيون في البدو يغلب على قوتهم اللحم والبن نظرا لكون المواشي المصدر الأساسي لغذائهم بالإضافة للعصيدة التي تؤدم بالبن وحده أو المخيض مع الزبدة والدهن ذو الصنع المحلي[2] ولعلى أهم غذائهم وأشهره الكسرة التي تطهى في الرمال بعد تسخينها والرز الذي يأتون به من حوض نهر النيجر ويستعملونه في عدة أطباق

ويتم تجفيف اللحم ثم يشويه ويسمى(التشطار)[3]

أما التمور فيقومون بتكسيرها في مها ريس كبيرة مصنوعة من الخشب ويستخرجون منها أكلة محلية تسمى (السفوف) تأكل قبل الغذاء وهي تعويض للتمر بعد انقضاء موسم جني التمور

المشروبات لديهم شراب محلي يسمى (الدغنو) وهو عبارة عن خليط من الأعشاب مع (البشنة) الدخن ويفضلونه عند العطش خاصة في أول أيام عيد الفطر والحليب الريب البارد

[1] المختار بن حامد: حياة موريتانيا الثقافية، ص178

[2] طالبي مبروكة –مولاي شهرزاد: جوانب من الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية، المرجع السابق، ص60

[3] الموقع الثقافي لصحراء www.shara-cultur.com

الذي يضاف له السكر والذي يسمونه (بالزريق) [1]والشاي الحساني(الاتاي) الأصيل الذي سنتحدث عنه بشكل خاص في هذا العنوان:

الشاي الحساني: يعتبر الشاي احد المشروباتالمنتشرة في جميع أنحاء العالم وخاصة في العالم العربي وتختلف أنواعه وطريقة تحضيره ولكن في السودان العربي وخاصة عند المجتمع الحساني الصحراوي بصفة عامة له عادة خاصة بيه منها ما يصطلح عليه "جيمات لاتاي ثلاثة" وهي:

الجماعة: إذا من الأفضل أن يتم تناول الشاي مع الجماعة ومهما كثر عددها كان ذالك أفضل.

الجر: كناية عن استحسان أطالة المدة الزمنية لتحضير الشاي وهو يتيح للجماعة فرصة أمورها بروية تأن .

الجمر: إذ من الأفضل أعداد الشاي على الفحم.

تحدثنا عن شروط الشاي الصحراوي وسننتقل لأدواته وهي كالأتي:

الصينية (الطبلة): وهي مستديرة الشكل ولها ثلاثة أرجل أو أربع وغالبا ما تكون ذات لون فضي أو من النحاس.

(الكؤوس): وهناك نوع خاص من الكؤوس في الصحراء ويسمي كيسان الواخز أو كؤوس صغيرة الحجم.

(البراد):إبريق الشاي ،ويصنع من مادة تسمي "تسميمت"ويوضع على الجمر فقط.

(الربايع): وهي مكونة من ثلاث عناصر مختلفة الحجم وفي القديم كانوا يستعملون انبتتن فقط

[1] محمد صالح حوتية: آل كنتة دراسة تاريخية من خلال مصادر محلية في ق12و13الهجري، دار الكتاب العربي، 2018، الجزائر، ص29

المفرج و المجمرة:الأول على شكل إبريق كبير يستعمل لغلي الماء والثاني مصنوع من طين أو الحديد يوضع فوقه إبريق الشاي ويقوم المعلمين بصنعه ويشربون منه في اليوم ثلاث كؤوس في ثلاث دورات والبعض يستعمل أربع كؤوس[1]

ومن عادتهم ولعلها من شيمهم هو انه خلال جلسة الشاي يتم تقديم الشاي لكبار السن أولا ثم الصغار ويشربون منه ثلاث كؤوس أو أربع كؤوس خلال ثلاث دورات متتالية.[2]

المطلب الثالث :احتفالاتهم في المناسبات

1/الأعياد الدينية:

هي الأعياد الدينية عيد الأضحى وعيد الفطر وفيها تقام صلاة العيدين، ويتبادل الناس التهاني وطلب السماح من بعضهم البعض وفي هذه الأعياد تعمل الأفراح وتلبس الزينة من الملابس وغيرها، ولعلى أبرز المظاهر وأحسنها صلة الرحم فالمجتمع الحساني محافظ ومتمسك بقيم الأخوة والقرابة التي تظهر أكثر في الأعياد الدينية[3].

الزواج:2/

وكان الزواج عندهم ولا يزال على مذهب الإمام مالك، لأنهم مالكية، ومنهم من يأخذ الصداق كاملا ومنهم من يكتفي بنصف ومنهم من لا يأخذ البتة والجهاز بحسب العرف و يعطى الزوج مالا للاعبين عليه، كما يعطي شاة لطلبة القرآن والعلم،ويعلن النكاح بالدف وعلى ولي الزوجة إن يقيم وليمة تحمل منها موائد إلى أقارب الزوج، وتبعث الزوجة بتلك الموائد في كل عيد وتبعث نساؤهم

[1] محمد الصافي: شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي، مجلة الثقلفة الشعبية، مجلة ثقافية، العدد41، ص13

[2] الطالبي مبروكة- مولاي شهرزاد: جوانب من الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية 1903_1960، المرجع السابق، ص63

[3] المختار بن حامد: حياة موريتانيا الثقافية، المرجع السابق، ص183

بموائد مماثلة لزوجة لتسود المودة والمحبة بينهم جميعا ويبقي الصحراوي بجوار أصهاره والمرأة مع أسرتها إلى أن تلد مولودها الأول، حينها يكون مخيرا بين البقاء مع أصهاره أو الرحيل لأهله[1].

(الدفوع):

خلال الموعد لمحدد للزواج يذهب أهل العريس في موكب جماعي إلى الفريك يقصد به مجمع خيام مكون من 10 أو أكثر الذي يوجد فيه أهل العروس وهم يحملون أمتعت العروس والذهب وكل ما يخصها، وحين وصولهم يرفع أهل العروس البند: الذي هو عبارة عن نصف بيصة بيضاء والأخرى سوداء. وأثناء وصولهم يبدأ العراك بين الطرفيين وهو تكالع البنود وهو تجاذب شريط الثوب الأبيض، والذي يكسبه في الأخير هو الأقوى، وهذه دلالة على السلام والرغبة في تلاحم الأسرتين، ويكون غلبا-على الشرط بأن لا سابقة ولا لاحقه و إلا فأمرها بيدها أو بيد وليها ولكن ككل الشعوب فقد تتعدد الزوجات لأصحاب الجاه والمال [2]

الولادة:3/

المرأة الصحراوية أينما وجدت لابد لها أن تلد عند أمها أن كانت باقية على قيد الحياة وتلد المرأة تحت رعاية العجائز الكبار وفي اليوم الثالث تذبح الذبائح ويأتي أحد علماء المنطقة لتسمية الطفل ويختاروا له عدة أسماء يجرون القرعة بينهم حتى يفوز أحدها ويكون هو اسمه والحسانيون يسمون أولادهم في اغلب الأحيان اسما ثنائيا كأن يسموه محمد الأمين أو محمد محمود أو أبو بكر الصديق أو سيدي احمد أو بابا احمد هذا بالنسة لذكور أما الإناث فيغلب على أسمائهن اسم عائشة وفاطمة وخديجة تيمننا بأمهات المؤمنين ...الخ والعادة عندهم أن تسود النفساء على وجهها بالكحل خوفا

[1] محمد سعيد كشاط: صحراء العرب الكبرى، المرجع السابق، ص156

[2] محمد الصافي: شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي، المرجع السابق، ص7

من العين وتطليه بالمغرة طينا احمر إذا ولدت أنثى، ويعف الولد ويحلق شعره ويتصدق بوزنه فضة ذهب[1].

[1] محمد سعيد كشاط: صحراء العرب الكبرى، المرجع السابق، ص167

خاتمــة

خاتمة

وفي خاتمة هذا البحث الموجز الذي جلنا من خلاله في رحاب المجتمع الحساني؛ منذ هجرة أجدادهم عرب المعقل من الجزيرة العربية وتمركزهم في شمال إفريقيا وبلاد السودان وتأثير عاداتهم وتقاليدهم في شعوب المنطقة، إلى استقرارهم وازدهار ثقافتهم وهيمنة لهجتهم وذياع صيتهم. وفيما يلي سرد لأهم النتائج التي استخلصناها من مضمون هذه الدراسة:

1- بنو حسان هم قبيلة عربية لاشك في عروبتهم تنحدر أصولهم من الجزيرة العربية جاءوا لإفريقيا مع هجرة بني هلال وبني سليم

2- تفرع عنهم عدت قبائل أشهرها (البرابيش وولاد دليم وأدي وولاد عبيد الله بن حسان وولاد عمر بن حسان...إلخ)

3- قطنت هذه القبائل مناطق واسعة في افريقيا؛ امتدت من شمالها إلى الصحراء الكبرى وما وراءها وأهم مناطق تمركزهم تكمن في السودان الغربي في كل من (شمال مالي والنيجر والتشاد وموريتانيا التي جل سكانها حسانيين)

4- تركيبة المجتمع الحساني الذي هو عبارة عن امتزاج بين الجنس الصنهاجي والجنس العربي وتتميز هذه التركيبة بكونها طبقية تترتب بشكل هرم كل بحسب مكانته ومنسبه ودوره.

5- تعد اللهجة الحسانية من أقرب اللهجات للعربية الفصحى، فهي ثرية بالألفاظ والمفردات العربية مع سلاسة في النطق تجعلها مفهومة وسهلة الاستيعاب.

6-للهجة الحسانية خصائص صوتية وتركيبية ودلالية تميزها نوعا ما عن بقية اللهجات العربية.

ومنه يمكننا الإجابة عن الاشكالية اعلاه فالمجتمع الحساني تمكن بشكل كبير من الحفاظ على هويته عبر تمسكه بلهجته وعاداته وتقاليده والدليل على هذا صمود هذا المجتمع أمام المتغيرات العصرية ومن

أهم التوصيات التي نقدمها:

هي ضرورة الحفاظ على الثقافة الحسانية وهذا من خلال حث الاجيال الصاعدة ودعوتهم للابتعاد عن التقليد الذي هو أحد اسباب انصهار الكيان العربي والاسلامي في الثقافة الغرب ولن يكون هذا إلا عبر مراجعة منظومة التربية والتعليم وتعديلها لتكون خادمة للهوية العربية والإسلامية.

الملاحق

ويرتفع نسب القبائل الحسانية الى جعفر بن أبي طالب، فهم بنو حسان بن المختار بن محمد بن عقيل بن معقل بن موسى الهداج بن جعفر الامير بن ابراهيم الاعرابي بن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(٥٣).

وأبرز هذه القبائل التي استوطنت بلاد شنقيط وحكمتها أولاد داود عروق وأولاد يونس ولبرابيش وأولاد اداليم واجمان وأولاد امبارك وأولاد الناصر ولبراكنة والترارزة وأولاد يحي بن عثمان وأولاد داود محمد وأولاد رزق وأولاد عقبة(٥٤).

شجرة بني حسان

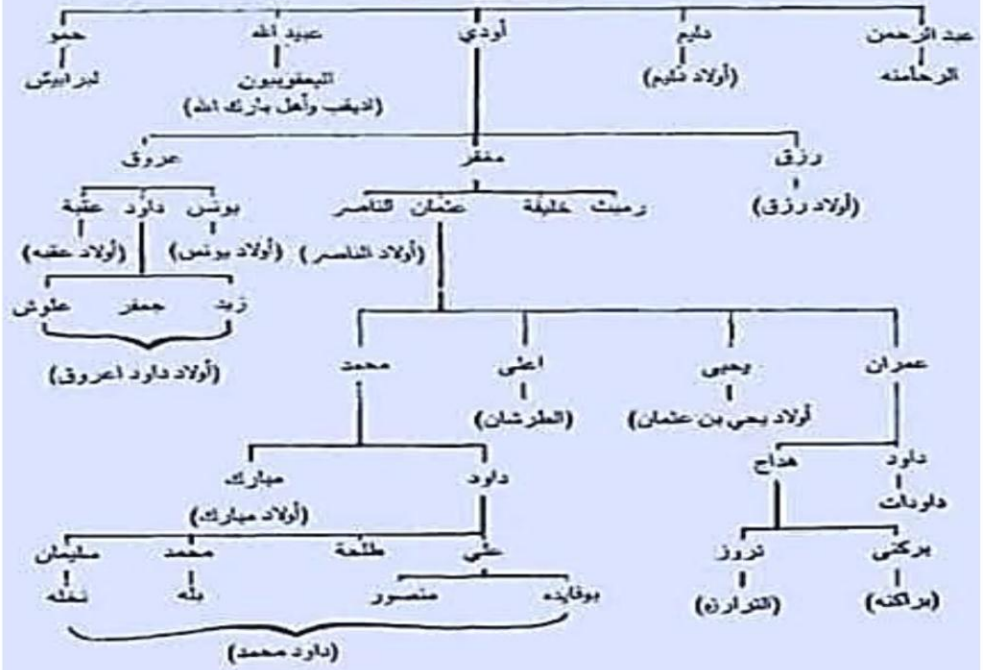

٣٣

الملحق رقم: 01(شجرة بني حسان وفروعهم

المصدر: الخليل النحوي، المرجع السابق، ص33

الملحق رقم:02 (خريطة مناطق تمركز بني حسان في بلاد السودان)

المصدر:www.revision-histoire-geo.com

الملحق رقم:03(الزي التقليدي لرجل الحساني).

المصدر:

https://al-ain.com/article/mauritanian-daraa-dress

الملحق رقم03: الزي النسائي التقليدي

المصدر: 2022/05/30https://n.facebook.com

الملحق رقم05: صورة توضح تقاليد المرأة الموريتانية

المصدر : https://www.persee.fr/doc/homig_1142-852x

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1- بن خلدون عبد الرحمان: **تاريخ ابن خلدون(ديوان المبتدأ والخبرفي تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)** ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ج6 .

2- الوزان حسن بن محمد: **وصف افريقيا**، دار الفكر الاسلامي، ج1

3- القلقشندي أبو العباس أحمد: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2.

4- الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية.

5- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، ط1.

6- بن حامد المختار: حياة موريتانيا الثقافية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط،1994.

7- مارتي بول: القبائل البيضانية في الحوض والساحل وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، تع محمد محمود ودادي، دار الكتب الوطنية بنغازي، ط1: 2001م-1369هـ.

2-المراجع:

1- أنيسابراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8:1992.

2- الأنصاري ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،

3- بن محنض حسين: تاريخ بلاد شنقيط من أقدم العصور إلى مقدم الاستعمار

4- بن محنض حسين: تاريخ موريتانيا الحديث،

5- بن محمد مسعد حسين: وقفات على بلاد شنقيط، الدار العالمية للنشر والتوزيع،ط1، 2019.

6-حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنقيط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان

7- الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1978.

8- الزبير غالي: نظرات في اللهجات الحسانية ،دار النشر لارمتان-راصد مخيمات اللاجئين الصحراويين.

9- الناصري خالد بن احمد: طلعة المشتري

10-المنجد صلاح الدين: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، 1976، ط2

10- مقلد محمد يوسف: موريتانيا الحديثة(غابرها وحاضرها) أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1960

11-مؤلف مجهول: امروك الحرف، تح: سيد حمد ولد الأمير

12- قشاط محمد سعيد: صحراء العرب الكبرى، دار الرواد لنشر والتوزيع، ط1-1994.

مذكرات ورسائل جامعية:

1-الطالبي مبروكة-مولاي شهرزاد: جوانب من الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال فترة الاستعمار من1930-1960، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب المعاصر، اشراف د بوسعيد أحمد، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، جامعة أحمد دراية أدرار2018-2019

2- مولاي شريفة: المحاضر وأثرها في المجتمع الموريتاني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، بن سويسي محمد، قسم العلوم الانسانية، شعبة تاريخ2019-2020

الموسوعات والمجلات:

1- سليم النجاعي: موسوعة العالم الاسلامي

2- عبد الله لطرش: الأمثال في اللهجة الحسانية البنية الجمالية والصور الاجتماعية، آفاق علمية، مجلة ثقافية، المركز الجامعي علي كافي تندوف، العدد03

3- سعد أبو سيف الحوتي: الموسوعة العلمية في أنساب القبائل العربية، مطبعة أبو العزم ط1

4- الصافي محمد: شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي، مجلة الثقافة الشعبية، العدد41

المواقع الالكترونية:

1- www.shara-cultur الموقع الثقافي للصحراء: الموضة واللباس.

2- www.gerls;net بوزيد علي: التربية على القيم من خلال الامثال الحسانية

3- https://al-ain.com /articl/mauritanian-daraa-dress

4- https://n.facebook.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفهرس **الصفحة**

الإهداء والشكر

المقدمة ..... **أ – ج**

المدخل التمهيدي

أ – نسب بني حسان وأهم فروعها..... 5

ب – مضارب بني حسان في بلاد السودان..... **11**

الفصل الأول:الحياة الاجتماعية لقبائل الحسانية

المبحث الأول: البنية الاجتماعية **14**

المطلب الأول: العرب ومكانتهم..... 14

المطلب الثاني: الزفانون والصناع 16

المطلب الثالث: الحراطين والعبيد..... 18

المبحث الثاني: ملا مح المجتمع الحساني و مظاهره..... 19

المطلب الأول: الأسرة الحسانية أحوالها ونظامها..... 19

المطلب الثاني: تربية الأبناء..... 23

المطلب الثالث: مكانة المرأة..... 25

الفصل الثاني:الحياة الثقافية للقبائل الحسانية

المبحث الأول: اللهجة الحسانية وآدابها..... 27

المطلب الأول: مفهوم اللهجة الحسانية..... 27

المطلب الثاني: الشعر الحساني..... 33

المطلب الثالث: أمثال وحكم حسانية..... 34

المبحث الثاني: العادات والتقاليد..... 37

المطلب الأول: الزي الحساني..... 37

المطلب الثاني: الأغذية التقليدية..... 40

المطلب الثالث: احتفالاتهم المناسبات..... 42

الخاتمة..... 46

الملاحق 49

المصادر والمراجع..... 55

الفهرس 59